

الإلهام عند الرافضة الإمامية

دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

د. عبد الرحمن علي محمد ذويب

أكاديمي أردني، أستاذ مساعد، قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين بجامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

تناولت الدراسة موضوع الإلهام عند الرافضة الإمامية، من خلال مصادرهم وأقوالهم، ودراستها دراسة مقارنة نقدية.

وكذا تناولت الدراسة موضوع الإلهام من منظور أهل السنة والجماعة، من جهة: تعريف الإلهام وأدلته، وحجيته والفروق بينه وبين غيره من المصطلحات القريبة من معناه.

ومما تناولته الدراسة الإلهام عند الإمامية، من جهة: حقيقته وحجيته وتطبيقاته، وغلوهم ودعاواهم الباطلة فيه، من جهة زعمهم أن مصدر الإلهام معلوم، وهو الملك الذي يسدد الأئمة، ومن هذا الوجه يعتبر مصدرًا وحجة.

ومما بينته الدراسة الأسباب التي دعت الإمامية إلى التصورات والأقوال الباطلة في موضوع الإلهام، وبيان فسادها.

ومما تناولته الدراسة، الرد على المزاعم الباطلة، في الإلهام عند الإمامية، ومن جهة: المنقول والمعقول، وبيان تناقضهم وفساد أقولهم، وكذلك الرد على دعوى عصمة الأئمة وبيان فسادها.

وأخيرًا: توصل البحث إلى أن قول الإمامية في إلهام الأئمة فاسد، وأن دعواهم لا تستند إلى دليل، بل هي شبهات ومقدمات فاسدة بنوا عليها نتائج باطلة.

د. عبد الرحمن علي محمد ذويب

dr.abedalrhman@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد أمر نبيه ﷺ بالتمسك بكتابه، والأخذ بما فيه علمًا وعملًا، والأمر له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أمر لأمته؛ فهو القدوة والأسوة الحسنة، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الزُّخرُف: ٤٣].

والقرآن هو الحق المبين، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ومن اتبع القرآن هداه الله وعصمه من الشقاء والضلال، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[طه: ١٢٣].

في صحيح مسلم من حديث جابر الطويل، قوله ﷺ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات. الحديث[1].

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٢١٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢، ص٨٨٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين، اتباع سيد المرسلين ﷺ، في كل ما أمر به، فهو لا يأمر إلا بخير الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[الحشر: ٧].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل بمنطوقها ومفهومها على وجوب اتباع الوحيين وطرح كل قول يخالف الكتاب والسنة دون شقاق أو عناد، وذلك حقيقة التوحيد.

ويتبين من ذلك أن العصمة لا تكون إلا باتباع كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لا بالعقليات الموهومة، ولا بالخيالات المزعومة التي يدعيها أصحابها من أهل الأهواء والبدع، ويعارضون بها ما جاء في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وتأتي هذه الدراسة لبيان حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية، ومناقشتهم والرد عليهم، في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

❁ مشكلة البحث:

يمكن إجمال مشكلة البحث فيما يلي:

محاولة إزالة اللَّبس الحاصل في مصطلح الإلهام عمومًا، ومن جهة أخرى بيان حقيقة الإلهام وحجيته عند الرافضة الإمامية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما المراد بالإلهام عند أهل السنة والجماعة وما حقيقته وحكمه؟
- ما مراد الرافضة بالإلهام؟

- هل يصلح الاحتجاج بالإلهام؟
- ما أسباب لجوء الرافضة إلى الاحتجاج بالإلهام؟
- ما شبهات الرافضة في الإلهام؟

❁ أهداف الدراسة:

أولًا: الجمع والتحليل لموضوع الإلهام وما يتصل به من مسائل.

ثانيًا: دراسة للانحراف في باب الإلهام عند الرافضة الإمامية.

ثالثًا: النقد والرد لدعاوى الرافضة الإمامية في الإلهام.

❁ الدراسات السابقة:

يوجد دراسات في موضوع الإلهام ومواقف المخالفين في حقيقته وحكمه، وهذه بعض تلك الدراسات:

- دراسة بعنوان: "موقف أهل السنة والجماعة والمخالفين من الإلهام والفراسة"، وهي رسالة ماجستير، من إعداد: عبير بنت عبدالله القصيمي؛ جامعة الملك سعود، وتناولت هذه الدراسة موقف أهل السنة والجماعة من إلهام والفراسة، وناقش دعاوى الصوفية في الإلهام ورد عليهم في هذا الباب.

- دراسة بعنوان: "دعوى الإلهام عند أهل الكتاب وموقف الإسلام منها"، وهي رسالة ماجستير، من إعداد: ندى محمد راجح اليماني، جامعة أم القرى. وهذه الرسالة مختصة بمناقشة الإلهام عند أهل الكتاب ورد دعواهم فيه.

- كتاب بعنوان: "أصول بلا أصول" للدكتور محمد بن أحمد إسماعيل

المقدَّم، مطبوع في دار ابن الجوزي، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، خصص فصلًا كاملًا في الإلهام، والرد على الصوفية في دعواهم.

وهذه الدراسات لم تتناول الإلهام عند الرافضة والرد على دعواهم الباطلة فيه، بل كان موضوعها الإلهام عند أهل السنة والجماعة وعند المخالفين مثل أهل الكتاب أو عند الصوفية، ولم أجد دراسة نقدية لموضوع الإلهام عند الرافضة الإمامية، والله أعلم.

❁ منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك بجمع الأقوال والمسائل المتصلة بالإلهام عند الإمامية، ودراستها وتحليلها ونقدها على ضوء أصول أهل السنة والجماعة وقواعدهم في أبواب الاعتقاد.

❁ خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهداف الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومشكلة البحث، ومنهجه.

التمهيد: وفيه التعريف بالرافضة الإمامية.

المبحث الأول: تعريف الإلهام والفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث.

المطلب الأول: تعريف الإلهام.

المطلب الثاني: الفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث.

المبحث الثاني: حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة وحكم الاحتجاج به.

المطلب الأول: حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: استدلال أهل السنة والجماعة على الإلهام.

المطلب الثالث: حكم الاحتجاج بالإلهام عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية واستدلالاتهم.

المطلب الأول: حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية وحجيته.

المطلب الثاني: تطبيقات وأمثلة الإلهام عند الرافضة الإمامية.

المطلب الثالث: دعوى الرافضة الإمامية سماعَ كل إمام من الذي سبقه.

المطلب الرابع: استدلالات الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة.

المبحث الرابع: أسباب القول بالإلهام عند الرافضة الإمامية.

المطلب الأول: الغلو في الأئمة وفي الإمامة.

المطلب الثاني: اتباع الهوى وترك التمسك بالنصوص الشرعية.

المطلب الثالث: تصحيح بدعهم بدعوى أنها أخذت من طريق المعصوم الملهم.

المطلب الرابع: الاستدلال الفاسد بالنصوص التي لا تدل على قولهم ولا على مذهبهم.

المبحث الخامس: الرد على دعوى الإلهام عند الرافضة الإمامية.

المطلب الأول: الرد على دعوى الرافضة الإمامية في تعريف الإمام وحقيقة الإلهام.

المطلب الثاني: الرد على الاستدلال الفاسد بالقرآن على إلهام الأئمة.

المطلب الثالث: رد دليلهم العقلي على عصمة الإلهام عند الأئمة.

المطلب الرابع: الرد على الرافضة الإمامية في دعواهم حجية ووجوب التحاكم إلى المعصوم الملهم.

الخاتمة.



التمهيد

التعريف بالرافضة الإمامية

بيّن ابن فارس أصل المعنى اللغوي لكلمة (رفض)، فقال: "الراء والفاء والضاد أصل واحد، ثم يشتقّ منه، يقال: رفضت الشيء: تركته. هذا هو الأصل"(١).

وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية التي رفض أتباعها خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ، وأن خلافة غيرهم باطلة(٢).

وزعمت الرافضة النصَّ على تنصيب الأئمة، وغلت فيهم وتولتهم دون غيرهم من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم، قال ابن أبي العز الحنفي: "والرافضة تُوالي بدل العشرة المبشرين بالجنة، الاثني عشر إمامًا، أولهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويدّعون أنه وصي النبي ﷺ، دعوى مجردة عن الدليل، ثم الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرِّضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج٢، ص٤٢٢، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٣٣، ص٣٦، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦م. وانظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، ج١، ص٣٤٤، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، ويغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد"(١).

❁ سبب تسميتهم بالرافضة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "سُمّوا رافضةً وصاروا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين بالكوفة في خلافة هشام، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فرفضه قوم، فقال: رفضتموني رفضتموني! فسُمّوا رافضة(٢).

"ومن جملة الروافض الإمامية، وهم القائلون بإمامة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ نصًّا ظاهرًا، وتعيينًا صادقًا، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام"(٣).

❁ أهم أصول الرافضة الإمامية:

الأصل الأول: النص على الأئمة وأنهم معصومون، "وخاصة مذهب الرافضة الإمامية من الاثني عشرية ونحوهم هو إثبات الإمام المعصوم، وادّعاء

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٢، ص٧٣٦، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ، ج٢، ص ٩٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص١٦٢، الناشر: مؤسسة الحلبي، وانظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص٢٣، الناشر: عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ثبوت إمامة علي بالنص عليه، ثم على غيره واحدًا بعد واحد، وهم وإن كانوا يدعون في ذلك نقلًا متواترًا بينهم؛ فقد علموا أن جميع الأمة تنكر ذلك"[1].

الأصل الثاني: التقية عند الرافضة، فيزعمون تحقق الخوف في حق أمير المؤمنين علي، ولذلك لجأ إلى التقية في أفعاله وأقواله[2]، وهذا الخوف لازم الأئمة من بعده جيلًا بعد جيل.

ويلزم على اعتقاد تقية الأئمة لوازم باطلة، تدل على بطلان قولهم، وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم، قال أبو المعالي الألوسي مبيّنًا تناقض قولهم ولوازمه الباطلة: "وأما إمامهم في كل عصر فهو رجل كثير الخوف، يخشى من صفير الصافر، وبزعمهم أن جميع الأئمة كانوا أذلّاء مغلوبين، يفترون على الله الكذب، ولا يمكنهم إظهار الحق، ويخشون من محبيهم الذين يصلّون عليهم في صلواتهم، وأن خاتمتهم -كما زعموا- أشدهم جبنًا وأكثرهم خوفًا، وقد اختفى لما خوّفه في صباه بعض الناس، وأنه لا يظهر على أحبائه ولا على أعدائه لمزيد خوفه، وقد طالت مدة غيبته، فتعطل بسببه الجهاد الذي هو ذروة الإسلام، وكذا سائر الحدود وغالب الأحكام"[3].

---

(١) أصول التشيع -عرض ودراسة-، السيد هاشم معروف الحسيني، ص١٧٦، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦م، وانظر: التسعينية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، ج٢، ص٦٢٥، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي، ص١٨٥، ص ١٩٠، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

(٣) صب العذاب على من سب الأصحاب، محمود شكري الألوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، ص٤٨٠، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

❁ كثرة فرق الإمامية:

قال الرازي: "وبعض الروافض قد صنف كتابًا وذكر فيه ثلاثًا وسبعين فرقة من الإمامية"(١).

❁ ما يتفق عليه الإمامية:

على الرغم من كثرة فرق الإمامية وتفرّقها إلا أن بينهم أمورًا اتفقوا عليها في مذهبهم، تُظهر مدى غلوهم وانحرافهم، منها ادّعاؤهم أنّ "الإمامة نص، وأن الأئمة معصومون، وأنهم يعلمون كل شيء حتى عداد الحصا والقطر والرمال وورق الأشجار، وأن كلهم لهم معجزات، وأن إمامة المفضول لا تجوز، وأن الصحابة ارتدت إلا ستة: سلمانَ وأبا ذر وعمارًا وحذيفةَ والمقداد وصهيبًا"(٢).



---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، ص٥٦، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، محمد بن أسعد الصديقي الدَّوَّاني، جلال الدين، تحقيق: عبد الله حاج علي منيب، ص٣٨٨، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

المبحث الأول

تعريف الإلهام والفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث

المطلب الأول

تعريف الإلهام

أولاً: تعريف الإلهام في اللغة:

تعود كلمة الإلهام إلى الأصل الثلاثي (لهم)، ويرجع معناه إلى الابتلاع، قال ابن فارس: "اللام والهاء والميم أصل صحيح يدل على ابتلاع شيء، ثم يقاس عليه، تقول العرب: التهم الشيءَ: التقمه ومن هذا الباب الإلهام"(١).

و**الإلهام في اللغة** يرجع إلى عدة معانٍ:

المعنى الأول: الإلقاء قاله غير واحد، "أن يلقي الله في النفس أمرًا، يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده"(٢). قال ابن فارس: "كأنه شيء ألقي في الروع فالتهمه. قال الله تعالى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ [الشمس: ٨]"(٣). وقال الرازي كذلك: "(الإلهام) ما يُلقى في الروع"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص٢١٧.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١٢، ص٥٥٥، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، ج٤، ص ٢٨٢، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٥، ص٢١٧.

(٤) مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص٢٨٦، الناشر: المكتبة العصرية =

المعنى الثاني: قاله الأزهري، وهو أن الإلهام بمعنى التلقين، "ويقال: ألهم الله فلانًا الرشد إلهامًا؛ إذا ألقاه في روعه فتلقاه بفهمه"[١]، وألهمه الله تعالى خيرًا: لقنه إياه[٢].

المعنى الثالث: قاله التهانوي، وهو أن الإلهام لغة: الإعلام مطلقًا[٣].

۞ ثانياً: تعريف الإلهام في الاصطلاح:

عُرف الإلهام بتعريفات متقاربة في المعنى تدل على ما يقع في القلب من علم ويطمئن له من غير استدلال ولا نظر، وهنا أذكر أهم هذه التعريفات:

- الإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض[٤]. وقيل: الإلهام: ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة[٥].

=

- الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

(١) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج٦، ص١٦٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادى، ص١١٦٠، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، ج١، ص٢٥٦، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

(٤) بطريق الفيض؛ أي: بلا اكتساب وفكر ولا استفاضة، بل هو وارد غيبي ورد من الغيب. انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج١، ص ٢٥٧.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ص٣٤، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، وانظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ص٧٦، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى،
=

- الإلهام: ما يبدو في القلب من المعارف بطريق الخير ليفعل وبطريق الشر ليترك[١].

- الإلهام: ليس إلا عبارة عن خاطرة من جنس هذه الخواطر التي تعرض لكل إنسان[٢] فهو: "اسم لما يهجس في القلب، من الخواطر بخلق الله في قلب العاقل، فيتنبه بذلك، ويتفطن فيفهم المعنى بأسرع ما يمكن، ولهذا يقال: (فلان ملهم)؛ إذا كان يعرف بمزيد فطنته، وذكائه ما لا يشاهده، والإلهام فلا يجب إسناده ولا استناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة"[٣]

- الإلهام: هو تخايل يقع في القلب، قد يكون ذلك من الله، وقد يكون من وسوسة الشيطان، وليس على أحدهما دليل يدل عليه، ولأن من يدعي الإلهام يمكن خصمه أن يدعي خلافه[٤]

وأدق هذه التعريفات التعريف الأخير؛ لأنه عبر بالتخايل عما يقع في القلب،

=

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، والتوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص٦٠، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ص٨٣، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

(٢) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمِي اليماني، مجموعة من الباحثين، ج٤، ص٣٧٨، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.

(٣) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ص١٧٣، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ج٨، ص٢٩، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

والتخايل هو الاشتباه وعدم القطع بالمصدر، فلا يمكن بحال الجزم بأن الإلهام المعين رباني، ولو أننا يمكن أن نستشعر -بشيء من القرائن- بأنه رباني، ولكن يبقى الاشتباه وعدم الجزم به قائمًا، "لأن ما يقع في قلبه محتمل بين وحي الله تعالى أو الشيطان، كما أن خبر المخبر يحتمل الصدق والكذب، والمحتمل لا يكون دليلًا، وإنما رجح القائل به جهة الصدق بحسن الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا[(١)].

المطلب الثاني

الفرق بين الإلهام والوحي والفراسة والوسوسة والتحديث

الفرق بين الإلهام والوحي:

يشترك الإلهام والوحي في أصل المعنى، من جهة الإعلام في الخفاء والسرعة فيه، قال الأنباري: "ثم يكون الوحي بمعنى الإلهام كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ [النحل: ٦٨]؛ أراد: ألهمها، وكقوله: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[الزلزلة: ٤-٥] أراد: ألهمها"[(٢)].

ولكن هذا الاشتراك لا يمنع من وجود فروق بين الوحي والإلهام، وهذه الفروق أجملها فيما يلي:

- الوحي مختص بالمتكلم الحقيقي، وهو الله تعالى، وله صور متنوعة

(١) تقويم الأدلة في أصول الفقه، الدّبوسيّ الحنفي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، ص٣٨٨، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ج٢، ص ٣٤١، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

ومعلومة، "فالكلام الإلهي يصل إلى القلب النبوي، فما أنزل صورته ومعناه ولا يكون إلا بواسطة جبريل فهو الكلام الإلهي، وما نزل معناه على الشارع فعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي، وهذا قد يكون بغير واسطة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [النجم: ١٠]، وقد يكون بواسطة نزول الملك؛ أي: بنزوله من الصورة الملكية إلى الهيئة البشرية، وقد يكون بنفثه في قلبه بأن يلقي معناه من غير أن يتمثل بصورة: (أنّ روح القدس نفث في روعي)، أما الإلهام فهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سبأ: ٤٨][1].

- الإلهام تابع للوحي من غير عكس[2].

- الإلهام من الكشف المعنوي، والوحي من الشهودي المتضمن للكشف المعنوي؛ لأنه إنما يحصل بشهود الملك وسماع كلامه، والوحي من خواص النبوة والإلهام أعم، والوحي مشروط بالتبليغ دون الإلهام[3].

❁ الفرق بين الإلهام والفراسة:

يوجد فرق بين الفراسة[4] والإلهام، فالفراسة تعتمد على الصور وتتفرس

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، ج١، ص٢٨٠، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج١، ص٢٨٠.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، ص١٧٣.

(٤) الفراسة: وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ إلى العين فيرى مالا يراه غيرها.

انظر: الروح، ابن قيم الجوزية، ص ٢٤٠، دار الكتب العلمية – بيروت

فيها، أما الإلهام فلا يعتمد على الصور ولا على كسب من الإنسان، بل هو شيء يقذفه الله في القلب بدون اكتساب من العبد، و"الفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب تفرس آثار الصور، (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[١]، فالفرق بين الإلهام والفراسة أنها كشف الأمور الغيبية بواسطة تفرس آثار الصور، والإلهام كشفها بلا واسطة"[٢]. "والفراسة قد تتعلق بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام فموهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة[٣].

❁ الفرق بين الإلهام والوسوسة:

يوجد فرق بين الإلهام والوسوسة، من جهة الواسطة والمتسبب بها ونوع المأمور به والأثر الذي ينتج عنها، وبيان هذه الفروق فيما يلي:

الأول: الفرق من جهة المتسبب والواسطة فيه، فالفجور بواسطة الشياطين، والتقوى بواسطة الملك.

الثاني: الفرق من جهة نوع المأمور به، فإن كان المأمور به تقوى الله فهو من إلهام الوحي، وإن كان المأمور به من الفجور فهو من وسوسة الشيطان.

الثالث: الفرق من جهة الأثر، فما كان من الملك أثمر إقبالًا على الله، وإنابة

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣١٢٧)، قال الألباني: الحديث ضعيف. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، ج٤، ص٢٩٩، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، ج١، ص٢٨٠.

(٣) تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، ج١، ص٤٨، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠ هـ

إليه، وذكرًا له، وهمّةً صاعدة إليه، وما أثمر ضد ذلك فهو من إلقاء الشيطان، ومنها أن ما أورث أُنسًا ونورًا في القلب وانشراحًا في الصدر، فهو من الملك، وما أورث ضد ذلك فهو من الشيطان، ومنها أن ما أورث سكينة وطمأنينة، فهو من الملك، وما أورث قلقًا وانزعاجًا واضطرابًا فهو من الشيطان[(١)].

❁ الفرق بين الإلهام والتحديث:

يوجد فرق بين التحديث والإلهام، فالتحديث خاص لبعض أوليائه، والإلهام عام في المكلفين وغير المكلفين، قال ابن القيم: "التحديث أخص من الإلهام، فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، فأما التحديث فالنبي ﷺ، قال فيه: (إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر)[(٢)]، يعني من المحدثين، فالتحديث إلهام خاص، وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧]، وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[النحل: ٦٨]فهذا كله وحي إلهام"[(٣)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج١٧، ص ٥٢٩، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، وانظر: الروح، ابن قيم الجوزية ص٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج١، ص٦٨، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

المبحث الثاني

حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة وحجيته

المطلب الأول

حقيقة الإلهام عند أهل السنة والجماعة

تناول أهل السنة والجماعة موضوع الإلهام بالبحث والنظر من جهة حقيقته وحجيته، وذلك من خلال نصوص الوحيين الكتاب والسنة، وتميز قولهم بالوسطية والاعتدال بين غلو الغالين وتقصير الجافين، وما ذاك إلا لأنهم أسعد الناس بالتمسك بالدليل وفهمه على الوجه الصحيح، وأبعد الناس عن التكلف والتنطع والغلو.

ومما تجدر الإشارة إليه قول أهل السنة في الإلهام: إنه ليس علمًا يكتفى به عن الوحي، وإنما هو ثمرة للعلم والتقوى، فلا يجوز أن يتعارض مع الشرع أو يعتمد عليه باعتباره حجة.

قال ابن الجوزي: "إن الإلهام للشيء لا ينافي العلم ولا يتسع به عنه، ولا ينكر أن الله عَزَّوَجَلَّ يلهم الإنسان الشيء، كما قال النبي ﷺ: (إن في الأمم محدثين، وإن يكن في أمتي فعمر)[1]، والمراد بالتحديث إلهام الخير، إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه، وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة للعلم والتقوى"[2]. وقال أيضًا مؤكدًا هذا المعنى

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٢٨٥، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

بقوله: "لولا العلم النقلي ما عرفنا ما يقع في النفس؛ أمن الإلهام للخير أو وسوسة من الشيطان"[١].

والتحديث والإلهام قد يوافق الحق وقد يخالفه، بل الذي يغلب على الناس وسوسة الشياطين، فلا بد من عرض كل ما يرد على القلب على الشرع المنزل؛ إذ الإلهام ليس فيه العصمة، قال شيخ الإسلام: "والمحدث ليس بمعصوم بل يقع له الصواب والخطأ، ولهذا يحتاج أن يزن بالميزان النبوي المعصوم جميع ما يقع له؛ أي لغير الأخذ من مشكاة النبوة، فهذا حال محدث السابقين الأولين وهو عمر بن الخطاب وهو أفضل من غيره، والصديق أكمل منه وأتم مقامًا، فهذا حال خير السابقين الأولين وأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين"[٢].

وقد بيّن العلماء أنواع الإلهام الذي يرد على القلب، وأنه ليس نوعًا واحدًا، "فتارة يكون من جنس القول والعلم والظن والاعتقاد، وتارة يكون من جنس العمل والحب والإرادة والطلب، فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب، وقد يميل قلبه إلى أحد الأمرين دون الآخر"[٣].

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٢٨٦.

(٢) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، ص٣٨٨، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م

(٣) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ج ٢، ص ٩٩، الناشر: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

المطلب الثاني

استدلال أهل السنة والجماعة على الإلهام

واستدل أهل السنة والجماعة على الإلهام بأدلة نشير إلى بعضها على النحو التالي:

أولًا: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[الشمس: ٨]، وتفسير الآية على وجهين:

الأول: البيان والإرشاد، والثاني: الجعل والإلزام، قال الطبري: "فبيّن لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شر أو طاعة، أو معصية[١]. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن الله جعل فيها ذلك[٢]؛ أي: جعل فيها فجورها وتقواها، أو ألزمها الفجور والتقوى.

والقول الثاني هو ما رجحه كثير من العلماء، "وهو أولى من القول الأول؛ لأن الإلهام في اللغة فوق التعريف والإعلام، قال الزجاج: عدلها للفجور، ووفقها للتقوى ويحمل الإلهام على التوفيق والخذلان، وهذا هو الوجه لتفسير الإلهام؛ لأن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام يوقع في قلبه، ويجعل فيه، فإذا أوقع الله في قلب عبده شيئًا، فقد ألزمه ذلك الشيء، كما ذكره سعيد بن جبير، وهذا صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه، وفي الكافر فجوره"[٣].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج٢٤، ص٤٥٤، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ج٢٤، ص٤٥٥.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ =

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير الآية: "فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان، وهو إلهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحي، هذا أمر بالفجور، وهذا أمر بالتقوى، والأمر لا بد أن يقترن به خبر، وقد صار في العرف لفظ الإلهام إذا أطلق لا يراد به الوسوسة، وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي وبين الوسوسة"[١]. وشيخ الإسلام رجح القول الثاني في الآية، بناء على أن الإلهام في المشهور استعماله في إلهام القلوب، وليس البيان، فقال: "قيل: هو البيان العام، وقيل: بل ألهم الفاجر الفجور والتقي التقوى، وهذا في تلك الآية أظهر؛ لأن الإلهام استعماله مشهور في إلهام القلوب لا في التبيين الظاهر الذي تقوم به الحجة، وقد علّم النبي ﷺ حصينًا الخزاعي لما أسلم أن يقول: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)[٢]، ولو كان الإلهام بمعنى البيان الظاهر لكان هذا حاصلا للمسلم والكافر"[٣].

= علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، ج٤، ص٤٩٥، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، وانظر: تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج٦، ص٢٣٣، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٧، ص ٥٢٩.

(٢) رواه أحمد، برقم (١٩٩٩٢)، وإسناده عند أحمد صحيح على شرط مسلم، قاله الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند، انظر: مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، ج ٣٣، ص١٩٧، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، والترمذي، كتاب الدعوات، رقم (٣٤٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٦، ١٤٥.

والشاهد من ذلك دلالة الآية على وقوع الإلهام القلبي للخلق عامة، فهو سبحانه يقلب القلوب كيف يشاء ويلهمها ما يريد، والله يلهم التقوى ويقذف في قلوب المؤمنين الإيمان ويلزمهم إياه، يلهم الفجور لأهلها بواسطة الشياطين، فالخلق خلقه والأمر أمره لا يخرج أحد عن سلطانه.

ثانيًا: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: (لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال، يكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر)[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم)[٢].

قال ابن حجر في شرح الحديث: "وقوله: (وإن يك في أمتي)، قيل: لم يورد هذا القول مورد الترديد؛ فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وُجد في غيرهم، فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد، كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء، وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم، حيث لا يكون حينئذ فيهم نبي واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة... والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي ﷺ من الموافقات التي نزل القرآن مطابقًا لها ووقع له بعد النبي ﷺ عدة إصابات"[٣].

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) صحيح مسلم، برقم (٢٣٩٨)، ج٤، ص١٨٦٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج٧، ص٥٠، ٥١، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه. وقال =

والشاهد في الحديث لفظة: (مُحَدَّثُونَ (و(مُكَلَّمُونَ)، فما المقصود بهما في الحديث؟

والجواب:

أولًا: المحدَّثون: بفتح الدال جمع (مُحَدَّثُ)، واختلف في معناه، وبيان ذلك فيما يلي:

- التحديث بمعنى: الإلهام، ذكره مسلم عن ابن وهب، قال: ملهمون. وقال غيره: (محدّثون): قوم مصيبون إذا ظنوا، فكأنهم حُدّثوا بشيء فقالوه[(١)]، وفي نفس السياق، قال ابن حجر في معنى المحدّث: "الملهم، قاله الأكثر، قالوا: المحدّث بالفتح، هو الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى؛ فيكون كالذي حدّثه غيره به، وملهَمون وهي الإصابة بغير نبوة[(٢)].

=

البيهقي: "عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ما كنا ننكر ونحن متوافرون أن السكينة تنطق على لسان عمر. وعن عبد الله بن مسعود: ما رأيت عمر قطُّ إلا وكأن بين عينيه ملكًا يسدده، وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر يقول القول فننتظر متى يقع؟ وفي قراءة أُبيّ بن كعب: (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث)، وقرأها ابن عباس كذلك في بعض الروايات عن النبي ﷺ، أنه قيل: كيف يحدّث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه، وذلك يوافق ما روينا عن علي وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ". انظر: الاعتقاد والهداية، البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ص٣١٤، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ.

(١) انظر: إِكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: يحيى إسماعِيل، ج٧، ص٤٠٢، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج٧، ص٥٠.

- والمحدَّث هو الملهم المخاطَب[١].

- والتحديث التفرس بمعنى الفراسة[٢].

- التحديث هو الخاطر الذي يرد على القلب، "أما حديث التحديث، فليس فيه أن التحديث أمر زائد على الخاطر، وإنما يمتاز المحدّث عن غيره بكثرة الخواطر الحقة في خواطره، فيكون تفرّسه أكثر صوابًا من غيره[٣].

- محدَّثون؛ أي: ملهَمون، وكذلك يحدثون؛ أي: يلهَمون حتى تنطق ألسنتهم بالحكمة كما كان لسان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينطق بما كان ينطق به منها[٤].

ويلاحظ في التعريفات أنها متقاربة المعنى وغير متعارضة، ومرجعها إلى النظر في صفات الملهَمين وما يترتب على هذه الصفات، والذي يهمنا هنا أن أكثر العلماء حملوا الحديث على معنى الإلهام.

ثانيًا: المكلَّمون: أي تكلمهم الملائكة بغير نبوة، وهذا ورد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، ولفظه: (قيل: يا رسول الله وكيف يحدَّث؟ قال: تتكلّم الملائكة على لسانه)[٥]. ويحتمل رده إلى المعنى الأول؛ أي: تكلمه في نفسه وإن لم ير مكلِّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام[٦]. وقال القاضي، وقال ابن القابس

---

(١) جامع الرسائل، ابن تيمية، ج ٢، ص ٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج٧، ص٥٠.

(٣) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمِي اليماني، ج٤، ص٣٧٥.

(٤) شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ج٤، ص٣٣٧، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ج٧، ص٥٠.

وغيره: معناه: تكلمهم الملائكة، كما جاء في الحديث الآخر: (يكلّمون). وقال البخاري: معناه: يجرى على ألسنتهم الصواب[١].

ومما أود التنبيه إليه عدة أمور في هذه المسألة:

- المكلَّم: هو الملهَم، بمعنى أن الملائكة تكلّمهم في نفوسهم، وتقذف في نفوسهم، وهذا الكلام من غير سماع صوت الملك في الخارج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن أنواع الوحي: "ويكون لغير الأنبياء ويكون يقظة ومنامًا، وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان، ليس خارجًا عن نفسه يقظة ومنامًا، كما قد يكون النور الذي يراه أيضًا في نفسه، فهذه الدرجة من الوحي التي تكون في نفسه من غير أن يسمع صوت ملك في أدنى المراتب وآخرها، وهي أولها باعتبار السالك"[٢]، وهذا الذي رجحه الحافظ ابن حجر كما سبق.

- قد يستدل بتكليم الملائكة للمكلَّمين بحديث: "قالوا: يا رسول الله، كيف محدَّث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه" إلا أن الحديث ضعيف[٣].

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، ج٧، ص٤٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٢، ص٣٩٨.

(٣) أخرجه الطبراني في معجمه برقم (٦٧٢٦). وبيّن الطبراني أن مدار الحديث على أبي سعد خادم الحسن انظر: المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ج٧، ص١٨، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، وقال الهيثمي في الحديث: "وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات" انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ج٩، ص٦٩، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م. وقال الذهبي في الميزان: عن أبي سعد خادم الحسن: لا يُدرى من ذا وخبره باطل. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٤، ص٥٢٩، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط١، =

- يحمل لفظ (مكلَّمين) على أنه كناية عن كثرة موافقتهم للصواب، وكأن الملائكة تخبرهم بالحق والصدق، وهذا يضاهي المروي "عن عبد الله بن مسعود: ما رأيت عمرَ قطُّ إلا وكأنّ بين عينيه ملكًا يسدده"[١].

- قد يحمل لفظ (مكلَّمين) على معنى تكليم الملائكة، على نحو ما جاء في تكليم الملك للثلاثة؛ الأقرع والأبرص والأعمى من بني إسرائيل في الحديث المشهور، المخرّج عند البخاري[٢] ومسلم[٣]، وسياق الحديث يدل على أن الملك تجسّد لهؤلاء الثلاثة ليبتليهم بأمر من الله تعالى، والذي يظهر لي في تكليم الملائكة في حال تجسدها لا يدخل في مسمى الإلهام؛ لأن لإلهام من جهة اللغة والاصطلاح هو ما يلقى في القلب أو ما يقذف في القلب، في حين أن تكلم الملائكة -وهي متجسدة- مع الملهَم يجعل الأمر مشهودًا ومعلومًا، وهذا لا يجتمع مع حقيقة الإلهام، الذي يسمى الوحي الباطن، والله أعلم.

المطلب الثالث

حكم الاحتجاج بالإلهام عند أهل السنة والجماعة

من المعلوم أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا كان تصور الإلهام صحيحًا من جهة حقيقته، كانت الأحكام المتعلقة به من جهة الاحتجاج والصحة صحيحة، وإذا تقرر أن الإلهام هو الاشتباه والتخايل الذي يقع في القلب، ولا

=

١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(١) انظر: الاعتقاد والهداية، البيهقي، ص٣١٤.

(٢) صحيح البخاري (٦٦٥٣)، باب لا يقول: ما شاء الله وشئت، كتاب الأيمان والنذور.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٤)، ج٤، ص٢٢٧٥.

يقطع بأنه من عند الله تعالى، فقد يكون من الله تعالى أو من الشيطان أو من النفس، ولا علامة قطعية على تعيين واحد منها، وهو ظن في نفس صاحبه، لذا يُعلم أنه ليس بحجة؛ إذ الشرع مبناه القطع، وظهور الدليل في الناس، وعدم اختصاص الدليل بفرد أو طائفة، فلذلك لا يُبنى على الإلهام حكم شرعي أصلًا، ولا يجوز الحكم به بين الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لأن الحكم بالإلهام بمعنى أنه من ألهم أنه صادق حكم بذلك بمجرد الإلهام، فهذا لا يجوز في دين المسلمين"[1].

وهنا أشير إلى أبرز الأقوال في حجية الإلهام:

القول الأول: أنه حجة مطلقًا على الملهَم وغيره وهو قول الصوفية والرافضة[2].

القول الثاني: أنه ليس بحجة مطلقًا.

القول الثالث: أنه خيال لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها، وأنه حجة في حق الملهَم دون غيره، ويتفرع منه القول بأنه يُعتدّ به في الترجيح بين الأدلة إذا وافقه سبب ظاهر، أو يعمل به في الأمور الجائزة عند فقد الحجج كلها وفي ما يجوز العمل به من غير علم[3].

---

(١) منهاج السنة، ابن تيمية، ج٨، ص ٦٩.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، ج٢، ص٩٩، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت. وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٨، ص٢٩. وانظر: التعريفات، الجرجاني، ص٣٤، وانظر: الفتوحات المكية، ابن عربي، ج١، ص١٣٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(٣) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، ج١، =

أما القول الأول فأنه ساقط من جهة النظر والسمع، وقد ناقش الأصوليون[١] هذا القول وبيّنوا فساده بما لا مزيد عليه، وبيّن أهل العلم أن النبي ﷺ لم يحكم بالإلهام بل اعتمد على البينة وحكم بها، وكذلك صنع عمر الملهَم رضى الله عنه ولم يحكم بإلهامه، بل كان معتمدًا على النص والشرع، قال الذهبي: "وأما قولك: معرفة القضايا بالإلهام بمعنى أنه من أُلهم أنه صادق حكم بذلك بمجرد الإلهام؛ فلا يحل الحكم بهذا في دين الإسلام، ولو كان الإلهام طريقًا كان الرسول أحق من قضى به، وكان الله يوحى إليه من هو صاحب الحق، فلا يحتاج إلى بينة، فإن قلت: معناه أنه يلهم الحكم الشرعي، فهذا أيضًا: لا بد فيه من دليل شرعي، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: (قد كان قبلكم في الأمم محدّثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر)[٢]، ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر أن يحكم بالإلهام ولا يعمل بمجرد ما يلقى في قلبه، حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإن وافقه قبله وإن خالفه ردّه"[٣].

=

ص٣٣٠، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، وانظر: تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز - عبد الله ربيع، ج٣، ص٤٥٦، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م، وانظر: التقرير والتحبير، ابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، ج٣، ص٢٩٥، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وانظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ج ٢، ص ٩٤.

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، ج٣، ص٣٥٨، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، برقم (٣٦٨٩)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص٥١٠.

والقول بحجية الإلهام مطلقًا فتح لباب الزندقة والباطل، ويلزمه لوازم باطلة ومستقبحة، قال ابن حزم: "فإن الإلهام دعوى مجردة من الدليل، ولو أعطي كل امرئ بدعواه المعراة، لما ثبت حق ولا بطل باطل، ولا استقر ملك أحد على مال، ولا انتُصف من ظالم، ولا صحّت ديانة أحد أبدًا؛ لأنه لا يعجز أحد عن أن يقول: أُلهمت أن دم فلان حلال، وأن ماله مباح لي أخذه، وأن زوجه مباح لي وطؤها، وهذا لا يُنفك منه، وقد يقع في النفس وساوس كثيرة لا يجوز أن تكون حقًا..."[١].

وأعظم ما يرد به على من قال بحجية الإلهام إلزامهم ببطلان دعواهم بنفس الحجة، قال أهل التحقيق: "ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم: ما الفرق بينكم وبين من ادعى أنه ألهم بطلان قولكم ولا سبيل إلى الانفكاك من هذا"[٢].

وأما القول الثالث: فيعمل بالإلهام عند فقد الحجج الشرعية كلها، ويكون الإلهام حجة في حق نفسه، يرجّح به بعض الأمور والمسائل، قال شيخ الإسلام: "والذين أنكروا كون الإلهام طريقًا شرعيًّا على الإطلاق أخطَؤوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقًا شرعيًّا على الإطلاق، ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحًا وأُلهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتقوى، فإلهام مثل هذا دليل في حقه؛ قد يكون أقوى من كثير من

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ج١، ص١٧.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٢، ص٩١، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٨، ص٢٩، وانظر: الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، ج١، ص٣٦١، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

الأقيسة الضعيفة والأحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه"(١).

❁ خلاصة ما سبق:

إن إنكار أصل الإلهام لا ينبغي، فالإلهام يندرج في باب كرامات الأولياء التي يثبتها أهل السنة والجماعة، وقد تواترت أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في إثبات ذلك، ولكن لا يلزم من إثبات أصله ووقوعه إثبات حجيته؛ إذ إثبات الحجية يحتاج إلى دليل، ولا دليل عليه.

وينبني على ذلك أن الإلهام ليس بحجة ولا يعتبر دليلًا في الأحكام، بل يجب أن يُعرض على الكتاب والسنة، فما وافقهما يصحُّ الأخذ به، وما خالفهما يردّ، وفي هذا سدّ لباب التّقوّل على الشرع، وإغلاق لباب الشر والضلال أمام الخلق، ولكن يبقى الحديث عن قول بعض العلماء بأن المجتهد والفقيه قد يستأنس بالإلهام عند فقد جميع أدلة الترجيح في المسألة، فله أن يرجح بالإلهام، ما لم يستطيع الوصول إليه بالدليل والبرهان، ويكون ذلك خاصة له دون أن يحتج به على غيره، وبشرط حسن القصد والتقوى، وهذا المعنى قد يندرج في عموم حديث النبي ﷺ: (البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك)(٢).

---

(١) جامع الرسائل، ابن تيمية، ج ٢، ص ٩٤، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٢٠، ص ٤٢.

(٢) مسند أحمد (١٨٠٠٦)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، ج٢٩، ص ٥٣٢، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، وقال النووي: حديثٌ =

المبحث الثالث

حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية واستدلالاتهم

المطلب الأول

حقيقة الإلهام عند الرافضة الإمامية وحجيته

تفسر الرافضة الإلهام بأنه النكت في القلوب[١]، أو القذف في القلوب[٢]، ويعتقد الرافضة في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان ملهَمًا ومحدَّثًا، ولهم روايات مزعومة عن علي رضى الله عنه؛ منها أنه قال: (الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون)[٣]، وكذلك الأئمة من بعده محدّثون إلى قيام الساعة.

ويعتقدون أن الإلهام يكون بوساطة الملك الذي يقذف في قلوب الأئمة، وينكت في أسماعهم، ويُطلعهم على ما يريده الله تعالى إعلامهم به من العلوم الربانية، فالملائكة -في زعمهم- مخالطة لهم، تحدّثهم ويسمعون منها، ويدل على ذلك: رواية حمران بن أعين، قال: "قال أبو جعفر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: إن عليًّا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كان محدَّثًا، فخرجت إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يقول: كان علي عَلَيْهِٱلسَّلَامُ محدَّثًا. فقالوا: ما

=

حسن، انظر: رياض الصالحين، النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص٢٠٨، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨.

(١) الأصول من الكافي، الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ج١، ص٢٦٤، دار صعب، بيروت، ط٤.

(٢) انظر: الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٦٤.

(٣) الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٧١.

صنعت شيئًا! ألا سألته: من كان يحدثه؟ فرجعت إليه فقلت: إني حدّثت أصحابي بما حدثتني فقالوا: ما صنعت شيئًا! ألا سألته من كان يحدثه؟ فقال لي: يحدّثه ملَك، قلت: تقول: إنه نبي؟ قال: فحرك يده"[1]. وتحديث الملَك للإمام الملهم من طرق المعرفة المعتبرة عند الإمامية، فمعرفة الإمام عند الإمامية منحصرة في طريقين:

الطريق الأول: ما توارثوه عن الرسول ﷺ وعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وتناقلوه عنهما جيلًا بعد جيل، فعلى هذا فالأئمة لا ينطقون إلا بالوحي المأخوذ مشافهة من المعصوم.

الطريق الثاني: القذف في القلوب والنكت في آذان الأئمة؛ وهو عبارة عن تحديث الملك أو الخلق الذي هو أعظم من جبريل وميكائيل ﴿بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾[النحل: ٢]، وهو الذي يخبرهم ويسددهم ويفقههم.

ويدل على ذلك رواية مزعومة "لأبي عبد الله، قال: قلت: أخبرني عن علم عالمكم. قال: ورثه من رسول الله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن علي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. قال: قلت: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم ويُنكت في آذانكم. قال: أو ذاك"[2].

وتجدر الإشارة إلى أنهم يعتبرون ما يُقذف في قلوب الأئمة من إلهامات تكون بواسطة الملك، بحيث لا اشتباه فيها؛ لأن وحي الملك -في زعمهم- يصحبه السكينة والوقار، ويُبيّنه الله للإمام حتى يعلم أنه حق، بخلاف وحي الشيطان الذي يفزع منه الإمام وينفر، فضلًا عن أن الشيطان لا يتعرض للأئمة

---

(١) انظر: الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٧١.

(٢) الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٦٤.

لعصمتهم ومكانتهم.

ثم كيف يمكن أن يتعرض الشيطان للأئمة واللهُ تعالى هو الذي يسدّدهم ويؤيّدهم ويقذف في قلوبهم ما يشاء من علم بواسطة هذه الإلهامات الغيبية ويحصلون منها على اليقين والإدراكات؟ "فالإمام يجب أن يكون مؤيَّدًا من عند الله؛ أي أن علومه وإدراكاته تحصل في نفسه بواسطة اليقين والإلهامات الغيبية، ويكون الله هو المتكفل بأموره[١].

وهذه الإلهامات عندهم معصومة، فلا أثر لنفس الإمام، ولا مجال للعوارض النفسية فيها، فالإمام مصون عن الضلالة والمعصية، بل تنعكس في قلبه بلا اضطراب ولا خلل، بمعنى أنه "لا يخطئ في تلقّي المعارف الإلهية والإلهامات الرحمانية، وأن متن الواقع ينعكس في قلبه، دون اضطراب أو تدخّل النفس التي تغيره إلى صورة أخرى وتفسره على نحو آخر"[٢].

ومن مسلَّمات مذهبهم منع اجتهاد الإمام، ويقولون: هو معصوم في أحكامه، فهو نائب عن الرسول ﷺ، فيجب أن يكون مثله معصومًا في معرفة ظاهر الشرع وباطنه، ويجب علمه التام بالحوادث النازلة والمستجدة، فهو يرفع الخلاف الحاصل في الأمة، وهذا لا يكون إلا بالإلهام والعصمة، فقالوا: "وما ثبت للإمام من بعده هو عين ما كان للنبي، فلا بد وأن يكون عالِمًا بخفايا تلك الشريعة، محيطًا بمحتويات ذلك النظام إحاطة كاملة، لا عن طريق الاجتهاد

(١) انظر: معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج١، ص٢٥٩، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(٢) معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج١، ص٢٥٥.

الناشئ عن التفكير والاستنتاج؛ لأن ذلك لا يمنع الخطأ في كثير من الأحيان"[١].

ويتبين مما سبق أن إلهام الأئمة مصدره معلوم، وهو الله تعالى، لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يلتبس بغيره أو يختلط على الإمام؛ فهو المؤيد المعصوم من الله تعالى، وينبني على هذا أنه حجة معتبرة، وذلك من وجهين:

الأول: القطع بأنه من الملَك، فلا احتمال لوحي شيطاني، أو خاطر نفسي، أو غير ذلك؛ لأن الله تعالى يسدد هؤلاء الأئمة بالملائكة، ولأن وحي الملك يتميز بالسكينة والوقار بخلاف وحي الشيطان الذي ينفر ويفزع منه الإمام، فضلًا عن معتقدهم أن الشيطان لا يمكن أن يتعرض للأئمة.

الثاني: لأن الإلهام وقع في محل معصوم وهو الإمام الذي لا يجوز عليه الخطأ والمعصية والنسيان.

وبناء على ذلك فالإلهام حجة معتبرة على الملهَم نفسه وعلى غيره، بحيث يجب على عموم الناس اتّباعه فيما يصدر عنه، وقد نصّوا على مساواة الأئمة للرسل في أمر التشريع والحلال والحرام، فهم سواء لا ينطقون إلا بالوحي وبالحق، وهم معصومون فيما يقولوا ويفعلوا، وهذا يستوجب اعتقادَ التفويض والتسليم لهم فيما يقولون في أمور الدين، وقد بوّب الكليني: "باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أمر الدين"[٢].

وتُعتبر هذه العقيدة من مسلمات المذهب؛ وذلك لكثرة الروايات الدالة على هذا المعنى وتواترها الذي يمنع تأويلها أو التكذيب بها، بل إن المكذّب بها -

---

(١) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٢٣٧.

(٢) انظر: الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٦٦.

عندهم- يخرج من دائرة الإمامية بالكلية، ونصوا على ذلك بقولهم: "الأئمة صلوات الله عليهم لا يتكلمون إلا بالوحي... وهذا من ضروريات دين الإمامية"(١).

ولم يتوقف غلو الرافضة على الإلهام القلبي، بل تعداه بمراحل، فهم يعتقدون أن الملائكة تكلّمهم وتخاطبهم كما تخاطب الأنبياء والرسل، "والمعتقدات الأصيلة الشيعية في أئمتهم حول نزول الوحي والملائكة عليهم، وأنه لا فرق بينهم وبين أنبياء الله ورسله؛ حيث إنهم يخاطَبون ويكلَّمون، ويقذف في قلوبهم، ويلقى في مسامعهم، وتنزل عليهم الملائكة، جبرئيل ومن دونه وفوقه، ويناجيهم الرب جل وعلا. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا"(٢)

وهذا تسبب في إشكال مفاده تحديد الفرق بين النبي والإمام، "وقد اعتبر الرافضة استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، وكذا الجمع بينهما، وقالوا: ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامية"(٣). وذلك بسبب الروايات(٤) التي فيها أن الإمام يسمع صوت الملائكة، وتخاطبه ويعاين

---

(١) انظر: بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج٣٥، ص٢٩، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

(٢) الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير، ص ١٤٠، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان.

(٣) انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ج١، ص٢٨٩، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨ هـ

(٤) كثيرة هي الروايات التي تدل على هذا المعنى، منها ما يروونه "عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: إن الملائكة لتنزل علينا في رحالنا، وتنقلب على فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه، برطب ويابس، وتقلب علينا أجنحتها، وتقلب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا في وقت كل صلاة، فتصليها معنا، وما من يوم يأتي علينا، ولا ليل، إلا وأخبار أهل الأرض عندنا، وما يحدث =

صورة الملك والأرواح، ونحو ذلك من أنواع الخرافات، فلا يكون بعد هذا ثمَّ فرقٌ بين النبي الإمام.

التعليق:

إن الإلهام عند الإمامية خاص بالأنبياء والأئمة من آل البيت، وإن الإمام يصل إلى العلم والمعرفة عن طريق الخبر إلى المعصوم أو عن طريق الإلهامات المعصومة.

اعتبار الإمامية الإلهامَ حجةً شرعية بناء على كونه من عند الله تعالى قطعًا؛ لأن الذي يقذف في قلوب الأئمة ويحدثهم هو الملك، فلا يمكن أن يلتبس بغيره من وحي الشياطين أو حديث نفس ونحوه، لذا يجب -عندهم- تحاكم الناس إلى الملهم.

المطلب الثاني

تطبيقات وأمثلة الإلهام عند الرافضة الإمامية

تمثل الإمامية على الإلهام عند الأئمة بمعرفة الواقع في ضمائر بعض العباد، وما يكون قبل كونه، وهذا العلم منبثق من طريقين؛ إما من طريق الفراسة، وإما عن طريق الإلهام من الله تعالى، "ولقد ورد في بعض الروايات أن الإمام الصادق وغيره كانوا يعرفون ضمائر بعض الأفراد ويخبرون بما في النفوس، والشيعة لا

=

فيها". انظر: الخرائج والجرائح، سعيد بن عبدالله الراوندي، ج٢، ص٨٥٢، مؤسسة نور، ط٢، ١٤١١ه. ومنها أيضًا: "أن جعفرًا وأباه الباقر جاءهما جبريل وملك الموت بصورة شيخ طويل جميل أبيض الرأس واللحية، ورجل آدم حسن الوجه والشيمة، وكان الأول جبريل، والثاني ملك الموت". انظر: الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة، إحسان إلهي ظهير، ص ١٣٨.

تمنع من ذلك، ولا تراه مستحيلًا، لجواز كونه عن طريق الفراسة وصفاء النفس، أو عن طريق الإلهام من الله سبحانه، وليس الإلهام من مختصات الأنبياء"(١).

وبوساطة هذه الإلهامات يطّلع الإمام على الملكوت وعلى نفوس الأشياء ويسيطر عليها، وهذا ليس من نافلة القول في الإمام، بل هو شرط في الإمام، وهذا الشرط متى فُقد فلا إمامة بدونه، وبعبارة أخرى يقولون: "الإمامة قوة الهيّة في نفس الإمام يحصل بواسطتها على الاطلاع على ملكوت ونفوس الأشياء ويسيطر عليها، فمن كانت فيه هذه القوة كان هو الإمام، ومن خلا منها لم يكن إمامًا"(٢).

وهذه الأوصاف جعلت الإمام عندهم فوق منزلة الرسل أو مساويًا لهم، ولا يخفى مدى الغلو والضلال في هذه الأقوال وهذه التصورات الباطلة.

وخلاصة ما سبق: أن الإمامية يعتقدون في الإمام أنه يطالع الملكوت، ويطلع على نفوس الأشياء وحقائقها وبواطنها، ويسيطر عليها، وهذا شرط في الإمام لا يجوز أن يتخلف، ويمثلون على الإلهام بمعرفة ما لم يقع، ومعرفة بواطن بعض البشر وما تخفي ضمائرهم.

المطلب الثالث

دعوى الرافضة الإمامية سماع كل إمام من الذي سبقه

تعتقد الإمامية سماع كل إمام من الذي سبقه إلى أن يصلوا إلى رسول الله ﷺ، الذي أخبر هؤلاء الأئمةَ كل ما يحتاجون إليه في أمر الدين وحوادث الدنيا، "فالرئيس الثاني يأخذ العلم من الأول ولا نصيب لكليهما في أمر الغيب؛ لأنه من

(١) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٢٣٩.

(٢) معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج١، ص٢٥٧.

مختصاته سبحانه"[١]، وهذا ما يطلق عليه مذهب التعليمية[٢]، فيزعمون أن علم الباطن لم يطلع عليه إلا الأئمة، ويمثلون على ذلك بإعلام النبي ﷺ لعلي "بمعلومات تتعلق بأمور الدين وبعض الشؤون الأخرى، كانت عن طريق النبي لا غير، فلقد كاشفه ببعض الحوادث التي ستمر على الناس في مستقبل الزمان، وأخبر عنها الإمام قبل وقوعها بعشرات السنين، كما أخبر بقتله وقتل ولديه وما جرى عليهما، وقيام الدولتين الأموية والعباسية، وجرائم الحجاج الثقفي وأخباره، وعن التتار والزنج..."[٣].

ويلزم الرافضة أن الرسول ﷺ كاشفَ الأئمةَ بجميع الحوادث إلى قيام الساعة؛ لأن الأئمة حفظةُ الدين والدنيا إلى قيام الساعة، وكل عاقل يعلم بطلان ذلك؛ فمن المعلوم أن النبي ﷺ لم يخبر الأئمة بكل الحوادث، فهذا غير ممكن؛ لأن حوادث الدنيا متجددة الأفراد، وهي باقية إلى قيام الساعة، وهذا يلزم منه الإخبار ببعض الحوادث دون بعض، وعلى ذلك فليس كل الحوادث سيكون فيها وحي، فسيضطر الإمام إلى الاجتهاد فيها للوصول إلى الحق، ومعلوم أن الاجتهاد لا يُأمن الخطأ فيه، وبذا يُعلم بطلان زعمهم.

والحاصل أن هذه الحالة خارجة عن محل البحث، فالموضوع مخصص للإلهام الذي في القلب.

---

(١) انظر: أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٢٣٧.

(٢) التعليمية: "نسبة إلى التعلم من الإمام المعصوم. وترك الرأي ومقتضى العقل" انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج١١، ص٦٢، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م.

(٣) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٢٣٨.

المطلب الرابع

استدلالات الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة

❁ أولاً: شبهاتهم القرآنية:

استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾[الأنبياء: ٧٣]، فقالوا: تدل الآية على أن: "الإمام يجب أن يكون مؤيَّدًا من عند الله، أي أن علومه وإدراكاته تحصل في نفْسه بواسطة اليقين والإلهامات الغيبية، ويكون الله هو المتكفل بأموره"(١).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: ٢٤]على أن مقام اليقين لا يمكن الوصول إليه إلا بالانكشاف، وهذا لا يكون إلا بالإلهام.

فقالوا: "ولأن الإمامة تستلزم امتلاك مقام اليقين، ومقام اليقين كما ذكر ليس ميسورًا دون انكشاف الملكوت وحقيقة الأشياء، وبناءً على هذا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤيده كل لحظة بانكشاف الملكوت والهداية بأمر الله"(٢).

واستدلوا كذلك على عدم اختصاص الأنبياء بالإلهام بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: ٧]، فقالوا: إن الإلهام ليس خاصًا بالأنبياء، بل هو عام في الأنبياء وغيرهم بما فيهم الأئمة(٣).

---

(١) انظر: معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، ج١، ص٢٥٩.

(٢) انظر: نفس المصدر، ج١، ص٢٥٩.

(٣) انظر: أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٢٣٩.

❁ ثانيًا: روايات عن الأئمة تدل على إلهام الأئمة:

ومما استدلوا به: رواية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١]، "فعن أبي عبد الله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ قال: السماء في هذا الموضع أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، والطارق الذي يطرق الأئمة من عند ربهم مما يحدث بالليل والنهار، وهو الروح الذي مع الأئمة يسددهم"(١).

وفي رواية أخرى "عن الحارث النضري قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: أخبرني عن علم عالمكم؟ قال: ورثه من رسول الله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ومن علي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ. قال: قلت: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم قال: أو ذاك"(٢). ونحوها من الروايات.

المبحث الرابع
أسباب القول بالإلهام عند الرافضة الإمامية

المطلب الأول
الغلو في الأئمة وفي الإمامة

مما لا يخفى على كل منصف غلوُ الإمامية في باب الإمام والأئمة، وهذا الغلو يُعلم بمجاوزتهم الحد المشروع في المحبة هؤلاء الأئمة إلى ما لا يشرع من عقائد وأقوال، بل يتعدى الأمر في أقوالهم ومعتقداتهم إلى مخالفة بدهيات الدين وقواطع الشريعة.

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٥، ص٤٨.

(٢) الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٦٤.

ولا يمكن الإحاطة بكل مظاهر الغلو في باب الإمامة عندهم؛ فهذا باب واسع يصعب حصره، ولكن نشير إلى بعض الوجوه:

الوجه الأول: قولهم "لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين، وإن الإمام يعلمه جبرائيل، فإذا مات بدل مكانه مثله"(١). وقالوا: الإمام يجب أن يكون معصومًا؛ لأنه الحافظ للشريعة، "فلا بد من وجوده في كل عصر ولا تخلو منه الأرض "(٢).

الوجه الثاني: قولهم في الأئمة: إنهم في مرتبة عُليا لا يصل إليها أحد، وإن الله خصّهم بالكمال لتحمّل المهامّ المناطة بهم، ومن أعظم هذا المهامّ المزعومة أنهم نواب عن الرسول ﷺ -على حد زعمهم-، وذلك يستوجب أن يشاركوه ﷺ في العصمة والإلهام؛ حتى يقوموا بواجبهم تجاه الأمة بأسرها، "فالأئمة مميَّزون عن غيرهم، جمعوا أفضل الصفات وبلغوا أسمى مراتب الكمال التي يمكن أن يبلغها الإنسان"(٣)، فضلًا على قولهم: إن الأئمة محدَّثون تحدّثهم الملائكة، ولهم روايات مزعومة عن علي رضى الله عنه أنه قال: (الأئمة علماء صادقون مفهمون محدَّثون)(٤).

وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا من عقائدهم وغلوهم في الإمام والأئمة، فقال: "ورفعوا أئمتهم فوق الأنبياء والرسل، وجعلوهم كسيّد

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٢٢.

(٢) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص٢٣٢.

(٣) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص١٧٨.

(٤) الأصول من الكافي، الكليني، ج١، ص٢٧١.

المرسلين، وحتى فضلوهم عليه، حيث رووا هذه الرواية المكذوبة على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرًا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار...، ولقد أقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل -عياذًا بالله- بمثل ما أقروا لمحمد صلى الله عليه وآله...، ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرب، وأن رسول الله يدعى فيكسي وأُدعى فاكسي...، ولقد أعطيت خصالًا ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله وأودي عنه، وثم هذه الخصال ليست بخاصة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقط بل يزعمون أن الأئمة الاثني عشر كلًّا منهم متصف بمثل هذه الأوصاف"(١).

الوجه الثالث: من البدهي أن من اعتقد في الأئمة كلَّ هذا الغلو والباطل سيوجب على الخلق الرجوع إلى أقوال الأئمة وتحكيمها في الدين والدنيا "فالإمامة عند الإمامية ليست إلا الأخذ بقول الإمام، والرجوع إليه في مشاكل الحياة، والاقتداء بسيرته المثلى وأخذ معالم الدين عنه"(٢).

ويتبين مما سبق أن القول بإلهام الأئمة هو نتيجة الغلو ومجاوزة الحد والدليل، وقد عُلم بصريح الوحيين تأكيد النهي عن الغلو والتنطع في الدين، وأنه سبب هلاك الأمم السالفة، وأن بعض فئام الأمة سيتبعونهم في الغلو ويزين لهم الشيطان ذلك.

---

(١) الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير، ص٦٧.

(٢) أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، ص١٧٧.

المطلب الثاني

اتباع الهوى وترك التمسك بالنصوص الشرعية

الناظر في مقالة الإلهام عند الإمامية يجد أنها جاءت نتيجة ترك التمسك بالأدلة، واتباع الأهواء، فكل من ترك الدليل وصدف عنه؛ وقع في التخبط والزيغ، فالعصمة تكمن في اتباع الوحيين، وعدم الخروج عنهما، وقد سبقت الإشارةُ إلى حقيقة قول الإمامية في الإلهام، وأن ما قالوه لا يدل عليه دليل صحيح، ولا عقل سليم، وأن حقيقة قولهم مبني على الهوى واستحسان باطل.

وقد ذم الله اتباع الأهواء في كثير من الآيات، قال ابن حزم: "قد حرم الله تعالى ذلك -أي: اتباع الأهواء- قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، فمن حكم في دين الله عَزَّوَجَلَّ بما استحسن وطابت نفسه عليه دون برهان من نص ثابت أو إجماع فلا أحد أضل منه"(١).

قال ابن القيم: "وينقسم الناس إلى صنفين: إما متبع للذكر والدليل والبرهان، وإما متبع لهواه. قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، فقسم الأمر إلى أمرين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به، وإما اتباع الهوى، فكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى"(٢).

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ج١، ص١٤٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ج٢، ص٨٨، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ.

وسياق الآيات هو في أهل الشرك الذين لم يستجيبوا لله ولرسول الله ﷺ ولم يتبعوه فيما جاء به، إلا أن أهل البدع والأهواء يشتركون[١] معهم في هذه الصفة، وهي ترك التسليم للنص واتباع الأهواء، قال شيخ الإسلام "وأهل البدع... إنما اتبعوا أهواءهم، فإن أحدهم يتبع محبة نفسه، وذوقها ووجدها وهواها، من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فلو اتبع العلم والكتاب المنير لم يعبد إلا الله بما شاء، لا بالحوادث والبدع"[٢].

وأكد الشاطبي هذا المعنى فقال: "... اتباع الهوى، ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك"[٣].

والمقصود مما سبق أن من أسباب دعوى إلهام الأئمة عن الإمامية هو اتباع الأهواء وعدم الرجوع إلى الأدلة التي تنقض بدعهم عامة وبدعة الإلهام خاصة.

المطلب الثالث

تصحيح بدعهم بدعوى أنها أخذت من طريق المعصوم الملهَم

ينسب الإمامية أقوال أئمتهم إلى النبي ﷺ، "فالإمامية يُسندون كل ما صحّ عندهم عن بعض أئمتهم إلى النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ"[٤]، ويستدلون على ذلك برواية

---

(١) وليس معنى ذلك تكفير أهل البدع بإطلاق، بل البدع على نوعين: مكفّرة ومفسّقة، والبدع المكفرة يجب فيها مراعاة وجود الشروط وانتفاء الموانع في تكفير المعين، كما هو منهج أهل العلم.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، ج١٠، ص٥٩٢.

(٣) الاعتصام، الشاطبي، ج٣، ص١٠٢.

(٤) التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي، تحقيق: عبد الحميد =

مزعومة أن جعفر الصادق قال: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي (حديث) رسول الله ﷺ، فلا حرج عليكم إذا سمعتم مني حديثًا أن تقولوا: قال رسول الله ﷺ"[١].

وبناء على ذلك فأقوال الأئمة -عندهم- هي نفس أقول الرسول الله ﷺ، بمعنى أن كل إمام سمع من الذي قبله، إلى أن ينتهي إلى قول المعصوم ﷺ، وما قالوا ذلك إلا ليتسنى لهم الكذب على الأئمة والتلفيق في الدين.

وفساد هذه الدعوى ظاهر، بحيث إن الأقوال المنسوبة إلى أئمتهم لا تثبت نسبتها إليهم، فضلًا عن نسبتها إلى الرسول ﷺ، قال شيخ الإسلام: "لا سبيل إلى العلم بصحتها؛ إذ لا أسانيد معلومة ومحفوظة عندهم، فضلًا عن علم غيرهم بها، وانتشار الكذب والتقول على الأئمة بلا علم"[٢]، ومن جهة أخرى نسبوا هذه الأقوال إلى الرسول ﷺ لترويج باطلهم على الناس وتزينه لهم، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يخص عليًّا[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعلم دون غيره من الصحابة.

والمقصود من ذلك أن من دوافع القول بإلهام الأئمة هو إضفاء الحجية على قول الأئمة، وجعل أقوال الأئمة بمنزلة أقوال الشارع من جهة الاحتجاج.

=

علي أبو زنيد، ج٢، ص١١٤، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

(١) الفائق في أصول الفقه، محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي، تحقيق: محمود نصار، ج٢، ص١٦٦، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج٨، ص١٣٦.

(٣) رد شيخ الإسلام على هذه الدعوى الباطلة في كتابه، منهاج السنة، ابن تيمية، ج٨، ص١٣٦.

المطلب الرابع

الاستدلال الفاسد بالنصوص التي لا تدل على قولهم ولا على مذهبهم

من المعلوم أن كل صاحب قول يحرص على تأييده بالأدلة والبراهين، ويدّعي فيها الصحة والحجية، وكذلك الحال في قول الإمامية، فهم يستدلون له بشبهات ظنوها أدلة، وهي مقدمات فاسدة بنو عليها نتائج فاسدة، وما ذلك إلا بسبب جهلهم وأهوائهم، وسيأتي الكلام على أدلتهم ومناقشتها في مبحث مستقل إن شاء الله تعالى.

المبحث الخامس

الرد على دعوى الإلهام عند الرافضة الإمامية

المطلب الأول

الرد على دعوى الإمامية في تعريف الإمام وحقيقة الإلهام

زعمت الإمامية أن الأئمة ملهَمون، وأنهم معصومون عن الخطأ، ويجب على الخلق اتّباعهم، فخالفوا جماهير المسلمين في حقيقة الإلهام، وفي أثره المترتب عليه، وهنا أشير إلى بعض الوجوه التي تدل على فساد قولهم:

۞ الوجه الأول: الرد على تعريف الإمام عند الإمامية

الإمام عند الرافضة شخص معصوم معين من قبل الله تعالى، مفترض الطاعة على الخلق، فهذا معنى مخترع لا وجود له في لغة العرب، ولا في معاني آيات القرآن الكريم، وقد استدلوا على هذا المعنى بآيات لا تدل على مقصدهم، مثل

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[السجدة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ١٢٤]، نحوها من الآيات.

والمقصود الصحيح من الآيات هنا معناه واحد، وهو القدوة في الخير أو الشر...، والله عَزَّوَجَلَّ الذي ذكر لفظ (إمام) و(أئمة) في القرآن الكريم أورد اللفظ ذاته في المؤمن والكافر، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال واصفًا الكفار الملعونين: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [القصص: ٤١].

فلو كان لفظ (أئمة) علَمًا على الأوصياء، ومنصبًا إلهيًّا من الله تعالى؛ لما جاز استخدام اللفظ ذاته في صنف ممن يدعون إلى النار[1].

۞ الوجه الثاني: الرد على الإمامية في حقيقة الإلهام:

قالوا: الإلهام النكت في القلوب بواسطة الملَك، وعليه لا يوجد اشتباه في مصدره، لذا هو حجة معتبرة.

ويمكن الرّدّ على هذه الدعوى بعدة أمور؛ منها:

- إن الله في كتابه أمر باتباع الوحي المنزل على رسوله ﷺ، واتباع سنته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والتحاكم إليها، والصدور عنها، ففيها الهدى وفيها العصمة

---

(١) انظر: ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، ص١٤٦، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م- بتصرف.

والغنية، ولا يوجد دليل على صحة إلهام أحد سوى الأنبياء صلوات الله عليهم.

- الروايات المنسوبة إلى الأئمة لا تثبت بها الحجة؛ فهي غير متصلة إلى قائلها، فضلًا عن نسبتها إلى رسول الله ﷺ.

- عدم إمكانية تميز مصدر الخاطر الوارد على القلب، فلا يعلم كونه من إلقاء الملك أو غيره، ولو طُلب من صاحبه دليلٌ على أنه وحي ملك لم يستطع أن يأتي بدليل ذلك، بل لو قوبل بدعوى إلهام مخالف ومبطل لما جاء به لم يستطع ردها، فيبقى الحكم بالإلهام حكمًا بالظن والتخريص والوهم، والشرع مبناه على العلم والبرهان واليقين.

- الحكم بالقطع على مصدر الإلهام بأنه من الملك لا يكون إلا باعتقاد عصمة الملهَم، وهذا باطل، فيكون الملزوم باطلًا كذلك.

المطلب الثاني

الرد على الاستدلال الفاسد بالقرآن على إلهام الأئمة

أولًا: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] على وجوب أن يكون الإمام مؤيَّدًا من عند الله وملهَمًا.

والجواب:

سياق الآيات هو في الحديث عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأنهم أئمة يُقتدى بهم، وأن الله أوحى إليهم فعل الخيرات والدعوة إليه، قال الطبري: "وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله

في اتباع أمره ونهيه، ويُقتدى بهم، ويتبعون عليه"[١]. وقال أيضًا: "وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك. ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا"[٢].

ثانيًا: استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] وجعلوا مقام اليقين لا يمكن الوصول إليه إلا بالانكشاف، وهذا لا يكون إلا بالإلهام.

والجواب:

هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، والإمام الذي يؤتمّ به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتم بهم، ويهتدى بهديهم"[٣]. وقد نص العلماء على وجهين في تفسير الآية لا يخرجان عن معنى الاقتداء، فإما أنهم رؤساء في الخير تبع للأنبياء، وإما أنهم أنبياء[٤].

وأكد ذلك القرطبي فقال: "أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى (بأمرنا)؛ أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي، فكأنه قال: يهدون بكتابنا، وقيل: المعنى: يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج١٨، ص ٤٥٧.
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج١٨، ص٤٥٧.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج٢٠، ص١٩٤.
(٤) انظر: تفسير الماوردي، الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج٤، ص ٣٦٧، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الخلق، ودعائهم إلى التوحيد"[١].

ثالثًا: استدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧]، على أن الإلهام ليس خاصًا بالأنبياء، بل هو عام في الأنبياء وغيرهم بما فيهم الأئمة.

والجواب:

أن يقال: "إن الوحي في كلام العرب معناه الإلهام، ويكون على أقسام:

وحي بمعنى إرسال جبريل إلى الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ووحي بمعنى الإلهام؛ أي ألهمتهم وقذفت في قلوبهم.

ووحي بمعنى الإعلام في اليقظة والمنام. قال أبو عبيدة: أوحيت بمعنى أمرت"[٢].

وتفسر الآية على عدة وجوه، قال القرطبي: "واختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولًا في منامها، وقال قتادة: كان إلهامًا، وقالت فرقة: كان بملَك يمثَّل لها، قال مقاتل أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام، وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور، خرجه البخاري

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١١، ص٣٠٥، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٦، ص٣٦٣.

ومسلم"[١].

رابعًا: استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[الطارق: ١].

فقالوا: السماء في هذا الموضع أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والطارق الذي يطرق الأئمة من عند ربهم مما يحدث بالليل والنهار، وهو الروح الذي مع الأئمة يسدّدهم.

الجواب:

تفسيرهم للآية تفسير باطل لا يُعتدّ به شرعًا ولا لغة، بل هو من جنس تفسيرات الباطنية التي تعتمد على الأهواء، والصحيح ما قاله أهل التفسير بأن الله تعالى: "أقسم بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلًا من النجوم المضيئة، ويخفى نهارًا، وكل ما جاء ليلًا فقد طرق[٢].

وقال السمعاني في الآية: "الطارق هاهنا هو النجم، وأما في لغة العرب فالطارق هو كل ما يطرق ليلًا، وقد قيل: هو الذي يطرق ليلًا كان أو نهارًا[٣].

وخلاصة المعنى: قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[الطارق: ١] قسمان: السماء قسم، والطارق قسم. والطارق: النجم. وقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ٢ – ٣][٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٣، ص٢٥٠، انظر: تفسير الماوردي، الماوردي، ج٤، ص ٢٣٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري ج٢٤، ص٣٥١.

(٣) تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج٦، ص٢٠٢، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٢٠، ص١.

التعليق:

أولًا: "وجود الإلهام لا نزاع فيه، فأفراد العالم كلها تحت حكم الله تعالى، يُلهم كلًا منها ما أراد، ومن ذلك القلوب، فالباري جل جلاله كما يلهم جميع الكائنات ما أراد، فهو يلهم القلوب كلها، والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى، ولكن هذا الإلهام هو عبارة عن خاطر من جنس هذه الخواطر التي يجدها الإنسان في نفسه"(١). فهذا القدر صحيح، وأما القول بأن الإلهام علم معصوم ويجب الرجوع إليه ونحو ذلك من الأباطيل فلا.

ثانيًا: جميع ما ورد في القرآن في معنى الإمام والأئمة ليس فيه المعنى المبتدَع الذي عند الإمامية، بل غاية الأمر أنهم اعتمدوا على لفظة واردة في الآيات فحملوها على المعنى الذي عندهم، فما استدلوا به ليس بصريح في الدلالة على قولهم، بل لا يشير إلى قولهم البتة، لا من قريب ولا من بعيد.

ثالثًا: لما فقد الإمامية بغيتهم من الأدلة على أقوالهم، توجهوا إلى التفسير الباطني للآيات، الذي لا يعتمد على اللغة ولا على السياق ولا على الشرع، بل هو محض افتراء، كما في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[الطارق: ١].

المطلب الثالث

رد دليلهم العقلي على عصمة الإلهام عند الأئمة

قالت الإمامية بعصمة الأئمة بدعوى أن الإمام هو من يقتدى به، فلو لم يكن معصومًا للزم اتباعه في المعصية والقبيح، والله تعالى يستحيل عليه أن يأمرنا بالقبيح، قال الموسوي: "الإمام لا بد أن يكون مقتدى به؛ لأن لفظ الإمامة مشتق

(١) انظر: آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلِمي اليماني، ج٤، ص٣٨٠.

من معنى الاقتداء والاتباع، وإذا ثبت وجوب الاقتداء به وجب أن يكون معصومًا؛ لأنه إذا كان غير معصوم لم نأمن من بعض أفعاله أن يكون قبيحًا، ويجب علينا موافقته فيه من حيث وجوب الاقتداء به، وفي استحالة تعبدنا بالأفعال القبيحة دليلٌ على أن من أوجب علينا الاقتداء به لا بد أن يكون ذلك منه مأمونا، ولا يكون كذلك إلا وهو معصوم[١].

والرد عليهم من وجوه:

الوجه الأول: بيان الغاية الصحيحة من نصب الإمام، وعدم اشتراط عصمته لتحقق المصالح المناطة به، فضلًا عن فقد الدليل على صحة دعواهم التي تدل على بطلانها، "والمعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام، ودرء المفاسد، وحفظ الأمن، والنظر في مصالح العامة، وغير ذلك، وليس من شرط بقائه في الحكم أن يكون معصومًا، ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتمًا في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان، ولا مانع بعد ذلك أن يخطئ ويصيب كبقية الناس، وادعاؤهم أنه لا يجوز عليه الخطأ يكذبه العقل والواقع.

وكذلك زعمهم أنه لا بد من إمام معصوم للناس، فإنه لا يكفي إمام واحد؛ فإن البلدان متباعدة، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذًا أن يكون في كل بلد إمام معصوم"[٢].

---

(١) الشافي في الإمامة، الشريف المرتضي، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ج١، ص٣٠٩، مؤسسة الصادق، طهران، ط٢، ١٩٨٦م.

(٢) فرق معاصرة، غالب بن علي عواجي، ج١، ص٣٧٨.

الوجه الثاني: عدم وجود دليل على دعوى العصمة عند الأئمة، فقالوا: الإمامة مستلزمة للعصمة، فلا تثبت الإمامة إلا وتثبت العصمة معها، وهو ما نص عليه الموسوي فقال: "فإذا ثبت أن أمير المؤمنين -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إمام فقد ثبت بالدليل العقلي أنه معصوم عن الخطأ والزلل"(١)، وهو قول باطل، وما يبني عليه باطل كذلك، ومذهب الإمامية لا يعتمد على الدليل والبرهان، بل ليس له أساس علمي، فكل ما عندهم يقوم على مغالطات ومقدمات باطلة، وبيان ذلك "أنهم في مذهبهم محتاجون إلى مقدمتين؛ إحداهما: عصمة من يضيفون المذهب إليه من الأئمة، والثانية ثبوت ذلك النقل [عن الإمام]. وكلتا المقدمتين باطلة"(٢).

فلا يوجد دليل من القرآن ولا من السنة الصحيحة ولا من العقل على عصمة أحد بعد الأنبياء، وكذلك لا يوجد عندهم أسانيد صحيحة إلى الأئمة تدل على أقوالهم، فدعواهم منقطعة الإسناد، فلا وثوق بها أصلًا.

وقد أكد الإمام الشاطبي بطلان دعوى العصمة عند الإمامية، وذلك لفقد الدليل النقلي والعقلي عليها، بل لا يعدو ما يستدلون به أن يكون شبهات لا تقوى أمام الدليل، فقال: "إن الإمامية من الشيعة تذهب إلى وضع خليفة دون النبي ﷺ، وتزعم أنه مثل النبي في العصمة، بناء على أصل لهم متوهَّم، فوضعوه على أن الشريعة أبدًا مفتقرة إلى شرح وبيان لجميع المكلفين، إما بالمشافهة أو بالنقل ممن شافه المعصوم.

وإنما وضعوا ذلك بحسب ما ظهر لهم بادي الرأي، من غير دليل عقلي ولا نقلي، بل بشبهة زعموا أنها عقلية، وشبه من النقل باطلة، إما في أصلها، وإما في تحقيق

---

(١) تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي، ص١٨٤، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج٤، ص١٩.

مناطها. وتحقيق ما يدّعون وما يرد عليهم به مذكور في كتب الأئمة، وهو يرجع في الحقيقة إلى دعاوٍ إذا طولبوا بالدليل عليها سُقط في أيديهم؛ إذ لا برهان لهم من جهة من الجهات... فإن طولبوا بالدليل على العصمة لم يأتوا بشيء، غير أن لهم مذهبًا يُخفونه، ولا يظهرونه إلا لخواصهم؛ لأنه كفر محض ودعوى بغير برهان(١).

الوجه الثالث: قوع الخلاف والتناقضات في الأقوال المنسوبة إلى الأئمة، فلو كانت ناتجة عن إلهامات معصومة لما وقع الخلاف والتناقض بينهم في أعظم مسائل الدين عندهم، وهو تعيّن الأئمة، وهذا معلوم بلا مرية، وقد نص عليه غير واحد من أهل العلم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هب أن عليًّا كان معصومًا، فإذا كان الاختلاف بين الشيعة هذا الاختلاف، وهم متنازعون هذا التنازع، فمن أين يعلم صحة بعض هذه الأقوال عن عليّ دون الآخر، وكل منهم يدعي أن ما يقوله إنما أخذه عن المعصومين، وليس للشيعة أسانيد متصلة برجال معروفين مثل أسانيد أهل السنة حتى يُنظر في الإسناد وعدالة الرجال، بل إنما هي منقولات منقطعة عن طائفة عرف فيها كثرة الكذب وكثرة التناقض في النقل، فهل يثق عاقل بذلك؟"(٢).

قال الشهرستاني مؤكدًا وجود الخلاف بينهم في تعيّن الإمام بعد جعفر الصادق: "ثم إن الإمامية لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، حتى قال بعضهم: إن نيفًا وسبعين فرق من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة، ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة. وهم متفقون في الإمامة وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومختلفون في المنصوص عليه

(١) انظر: الاعتصام، الشاطبي، ج١، ص٢٥٨.

(٢) منهاج السنة، ابن تيمية، ج٤، ص١٨.

بعده من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد"[١].

الوجه الرابع: تكذيب واقع الحال لدعوى عصمة الأئمة، فقولهم بعصمة الأئمة وأنهم ملهَمون، يقوم بهم الدين والدنيا، وطاعتهم فرض لازم على الخلق، وقد رد ابن حزم على هذه الترهّات، بقوله: "لا سيّما وجميع أئمتهم الذين يدعون بعد علي والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما أمروا قط في غير منازل سكناهم، وما حكموا على قرية فما فوقها بحكم، فما الحاجة إليهم؟ لا سيما مذ مائة عام وثمانين عامًا، فإنهم يدعون إمامًا ضالًا لم يخلق كعنقاء مغرب، وهم أولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة، لم يعجز عن مثلها أحد، وأيضًا فإن الإمام المعصوم لا يعرف أنه معصوم إلا بمعجزة ظاهرة عليه، أو بنص تنقله العلماء عن النبي ﷺ على كل إمام بعينه واسمه ونسبه، وإلا فهي دعوى لا يعجز عن مثلها أحد لنفسه أو لمن شاء، ولقد يلزم كل ذي عقل سليم أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف، الذي ترتفع عقول الصبيان عنه، وما توفيقنا إلا بالله عَزَّوَجَلَّ"[٢].

وليس الغرض هنا تتبع شبهاتهم في الإمامة والعصمة، وإنما الإشارة إلى أن قولهم بعصمة الأئمة في الإلهام هو فرع عن قولهم بالعصمة، فإذا أبطلنا الأصل بطل الفرع، وهو عصمة الإلهام عند الأئمة.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص١٦٥.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٤، ص٧٩.

المطلب الرابع

الرد على الإمامية في دعواهم حجية ووجوب التحاكم إلى المعصوم الملهم

ودعوى العصمة تضاهي المشاركة في النبوة، فالمعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالَف في شيء، وهذا من خصائص الأنبياء، وهذه الدعوى تناقض قواطع الدين التي دلت على وجوب اتباع الوحيين، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]. قال شيخ الإسلام معلقًا على الآية الكريمة: "فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، فمن أثبت شخصًا معصومًا غير الرسول أوجب رد ما تنازعوا فيه إليه؛ لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول. وهذا خلاف القرآن، وأيضًا فإن المعصوم تجب طاعته مطلقًا بلا قيد، ومخالفه يستحق الوعيد، والقرآن إنما أثبت هذا في حق الرسول خاصة. قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم، فالرسول ﷺ هو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار، وبين الأبرار والفجار، وبين الحق والباطل، فمن اتبعه فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقي. وليست هذه المرتبة لغيره.[1]

---

(١) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج٦، ص١٩٠.

والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو منهج الصحابة رضوان الله عليهم فكان مرجعهم وإمامهم وصدورهم إلى كتاب الله لا يحيدون عنه ولا يتركونه وهم الذين تربو على مائدة الرسالة، ويؤكد هذا المعنى موقف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قبل التحاكم إلى كتاب الله في الفتنة التي جرت بينه وبين معاوية رضي الله عنهم جميعا.

قال ابن حزم في سياق إلزام الإمامية بموقف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: "وجدنا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذ دعي إلى التحاكم إلى القرآن أجاب وأخبر أن التحاكم إلى القرآن حق، فإن كان علي صوابًا في ذلك فهو قولنا، وإن كان أجاب إلى الباطل فهذه غير صفته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولو كان التحاكم إلى القرآن لا يجوز بحضرة الإمام لقال علي حينئذ: كيف تطلبون تحكيم القرآن وأنا الإمام المبلّغ عن رسول الله ﷺ؟ فإن قالوا: إذ مات رسول الله ﷺ فلا بد من إمام يبلغ الدين، قلنا: هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته"(١).

وغاية ما يجب اعتقاده في هؤلاء الأئمة أن يعامَلوا كبقية الأئمة والخلفاء، فلا يوجد دليل يخصهم بأشياء دون غيرهم، فمن أهل البيت "من كان خليفة راشدًا تجب طاعته كطاعة الخلفاء قبله وهو علي، ومنهم أئمة في العلم والدين يجب لهم ما يجب لنظرائهم من أئمة العلم والدين كعلي بن الحسين، وأبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق. ومنهم دون ذلك"(٢).

وقد حكم أهل العلم على دعوى عصمة أحد بعد الرسول ﷺ بالضلال، وذلك لمصادمتها صريح القرآن، قال شيخ الإسلام "...كأئمة الضلال الرافضة

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٤، ص٧٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٩، ص٦٩.

الإمامية، حيث جعلوا في كل وقت إمامًا معصومًا تجب طاعته، فإنه لا معصوم بعد الرسول، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء"[١].

ويتبين مما سبق نقض دعوى العصمة لغير الأنبياء، ويترتب على ذلك نقض دعوى الإلهام المعصوم، فهو جزء من قضية العصمة، فليس ثَمّ ما يدل على العصمة، ولا ما يدل على عصمة الإلهام، بل دل الكتاب والسنة على خلافها.



(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٩، ص٦٩

الخاتمة

مما لا شك فيه خطورة دعوى حجية الإلهام عند الإمامية، فاعتباره حجةً مطلقًا بلا قيد أو شرط فتحٌ لباب الكذب على الله عَزَّوَجَلَّ وعلى ورسوله ﷺ، بدعوى الإلهام، فكل واحد بإمكانه أن يدّعي ما يشاء فيما يشاء، بلا رقيب ولا حسيب، وهذا شرٌّ مستطير، وهو سبب ضلال الأمم السالفة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى.

ومن واجب العلماء حثُّ الأمة أفرادًا وجماعات على اتباع نصوص الوحيين، والتمسك بهما، والتحذير من البدع وأسبابها، مثل الغلو في الدين، وترك السنة والاتباع، والاستدلال الفاسد للنصوص، فظهور البدع والخرافات سبب من أسباب تراجع الأمة وتخلفها وضعفها الذي يحرص عليه أعدائها.

۞ أبرز النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

- بيان حقيقة الإلهام الذي يقع في القلوب، وأنه تخايل لا يقطع بمصدره، ولا سبيل للجزم بأنه من عند الله تعالى، وينبني على ذلك عدم اعتباره حجة عند أهل السنة والجماعة.

- ظهور فروق بين الإلهام والألفاظ المقاربة له في المعنى، مثل: الوحي، والفراسة، والتحديث، ونحو ذلك.

- بطلان زعم الرافضة الإمامية حجية الإلهام عند الأئمة وعصمتهم.

- فساد استدلال الرافضة الإمامية على إلهام الأئمة، فكل ما استدلوا به لا

يعدو أن تكون شبهات لا تثبت أمام البراهين والحجج.

۞ أبرز التوصيات:

- لزوم مذهب أهل السنة والجماعة في سائر أبواب الدين، وخاصة في أبواب الاعتقاد، فمذهبهم يمتاز بالوسطية، والسلامة من التناقضات والاضطرابات، بخلاف مذاهب أهل الأهواء والبدع.

- تضافر الجهود في تمييز مقالات أهل السنة والجماعة وإظهار مذهبهم وأدلتهم والدفاع عنها، والرد على المخالفين وبيان تناقضاتهم وتهافت استدلالاتهم.

- دراسة موضوع الإلهام عند اليهودية أو الإلهام في الديانات الوضعية.

وأخيرًا أقول: هذا ما أمكن إيراده وتيسر جمعه واستيفاؤه في هذا الموضوع، وإني لأرجو الله تعالى بمنه وفضله التجاوز والعفو عن الخطأ والتقصير.



المصادر والمراجع

١. آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمِي اليماني، مجموعة من الباحثين، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ

٢. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣. أصول التشيع: عرض ودراسة، السيد هاشم معروف الحسيني، دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦م.

٤. الأصول من الكافي، الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار صعب، بيروت، ط٤.

٥. الاعتصام، بالشاطبي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٦. الاعتقاد والهداية، البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ه.

٧. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٩. إِكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: يحيى إسماعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٠. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١١. البداية والنهاية، ابن كثير، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦م.

١٢. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٣. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٤. التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود الأرْمَوي، تحقيق: عبد الحميد علي أبو زنيد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

١٥. التسعينية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

١٦. تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، الزركشي، تحقيق: سيد عبد العزيز - عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء

التراث – توزيع المكتبة المكية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

١٧. تفسير القرآن الكريم = التفسير القيم لابن القيم، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٠هـ.

١٨. تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٩. تفسير الماوردي، الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٠. التقرير والتحبير، ابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢١. تقويم الأدلة في أصول الفقه، الدّبوسيّ الحنفي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢٢. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٢٣. تنزيه الأنبياء، علي بن الحسين الموسوي، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، الناشر: عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٦. ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

٢٧. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨. جامع الرسائل، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٩. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٠. الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة، محمد بن أسعد الصديقي الدَّوَّاني، جلال الدين، تحقيق: عبد الله حاج علي منيب، الناشر: مكتبة الإمام البخاري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣١. الخرائج والجرائح، سعيد بن عبدالله الراوندي، مؤسسة نور، ط٢، ١٤١١ه.

٣٢. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٣٣. الرد على الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة وأهل السنة،

إحسان إلهي ظهير، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان.

٣٤. الروح، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٥. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢ م.

٣٧. الشافي في الإمامة، الشريف المرتضي، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مؤسسة الصادق، طهران، ط٢، ١٩٨٦م.

٣٨. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٩. شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٠. شرح مشكل الآثار، الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤م.

٤١. صب العذاب على من سب الأصحاب، محمود الألوسي، تحقيق: عبد الله البخاري، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

٤٢. الفائق في أصول الفقه، محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي، تحقيق: محمود نصار، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٤٣. فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه.

٤٤. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٤٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر التعريفات، الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٤٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

٤٧. الفتوحات المكية، ابن عربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٤٨. القاموس المحيط، الفيروزآبادى، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٤٩. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٥٠. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى

الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٥١. لسان العرب، ابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ.

٥٢. مجمع الزوائد، الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٥٣. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٤. مختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٥٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٧. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ.

٥٨. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد،

وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٩. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

٦٠. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٦١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٦٢. معرفة الإمام، محمد الحسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٦٣. الملل والنحل، الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.

٦٤. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٦٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٦. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٦٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٩. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.



فهرس الموضوعات